

تفسير ابن كثير

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لنت لَهُمْ ^ط وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِن حَوْلِكَ ^ط فَاعْفُ
عَنَّهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ^ط فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُتَوَكِّلِينَ

يقول تعالى مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم ، ممتنا عليه وعلى المؤمنين فيما ألان به قلبه على أمته ، المتبعين لأمره ، التاركين لجزره ، وأطاب لهم لفظه : (فيما رحمة من الله لنت لهم) أي : أي شيء جعلك لهم لينا لولا رحمة الله بك وبهم . قال قتادة : (فيما رحمة من الله لنت لهم) يقول : فبرحمة من الله لنت لهم . و " ما " صلة ، والعرب تصلها بالمعرفة كقوله : (فيما نقضهم ميثاقهم) [النساء : 155 ، المائدة : 13] وبالنكرة كقوله : (عما قليل) [المؤمنون : 40] وهكذا هاهنا قال : (فيما رحمة من الله لنت لهم) أي : برحمة من الله . وقال الحسن البصري : هذا خلق محمد صلى الله عليه وسلم بعثه الله به . وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) [التوبة : 128] . وقال الإمام

أحمد : حدثنا حيوة ، حدثنا بقية ، حدثنا محمد بن زياد ، حدثني أبو راشد الحبراني قال :

أخذ بيدي أبو أمامة الباهلي وقال : أخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : "

يا أبا أمامة ، إن من المؤمنين من يلين لي قلبه " . انفرد به أحمد . ثم قال تعالى : (ولو

كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) الفظ : الغليظ ، [و] المراد به هاهنا غليظ

الكلام ، لقوله بعد ذلك : (غليظ القلب) أي : لو كنت سيئ الكلام قاسي القلب عليهم

لانفضوا عنك وتركوك ، ولكن الله جمعهم عليك ، وألان جانبك لهم تأليفا لقلوبهم ،

كما قال عبد الله بن عمرو : إنه رأى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتب

المتقدمة : أنه ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا سخاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة

السيئة ، ولكن يعفو ويصفح . وروى أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي ، أنبأنا بشر

بن عبيد الدارمي ، حدثنا عمار بن عبد الرحمن ، عن المسعودي ، عن ابن أبي مليكة ،

عن عائشة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله أمرني بمدارة الناس

كما أمرني بإقامة الفرائض " حديث غريب . ولهذا قال تعالى : (فاعف عنهم واستغفر لهم

وشاورهم في الأمر) ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه في الأمر

إذا حدث ، تطيبا لقلوبهم ، ليكونوا فيما يفعلونه أنشط لهم [كما] شاورهم يوم بدر في الذهاب إلى العير فقالوا : يا رسول الله ، لو استعرضت بنا عرض البحر لقطعناه معك ، ولو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك ، ولا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن نقول : اذهب ، فنحن معك وبين يديك وعن يمينك وعن [شمالك] مقاتلون . وشاورهم - أيضا - أين يكون المنزل ؟ حتى أشار المنذر بن عمرو المعنق ليموت ، بالتقدم إلى أمام القوم ، وشاورهم في أحد في أن يقعد في المدينة أو يخرج إلى العدو ، فأشار جمهورهم بالخروج إليهم ، فخرج إليهم . وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلاث ثمار المدينة عامئذ ، فأبى عليه ذلك السعدان : سعد بن معاذ وسعد بن عباد ، فترك ذلك . وشاورهم يوم الحديبية في أن يميل على ذراري المشركين ، فقال له الصديق : إنا لم نجئ لقتال أحد ، وإنما جئنا معتمرين ، فأجابه إلى ما قال . وقال عليه السلام في قصة الإفك : " أشيروا علي معشر المسلمين في قوم أبناوا أهلي ورموهم ، وإيم الله ما علمت على أهلي من سوء ، وأبنوهم بمن - والله - ما علمت عليه إلا خيرا " . واستشار عليا وأسامة في فراق عائشة ، رضي الله عنها . فكان [صلى الله

عليه وسلم [يشاورهم في الحروب ونحوها . وقد اختلف الفقهاء : هل كان ذلك واجبا

عليه أو من باب الندب تطيبا لقلوبهم ؟ على قولين . وقد قال الحاكم في مستدركه :

حدثنا أبو جعفر محمد بن محمد البغدادي ، حدثنا يحيى بن أيوب العلاف بمصر ،

حدثنا سعيد بن [أبي] مريم ، أنبأنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس

في قوله : (وشاورهم في الأمر) قال : أبو بكر وعمر ، رضي الله عنهما . ثم قال : صحيح

على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وهكذا رواه الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال

: نزلت في أبي بكر وعمر ، وكانا حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزيره وأبوي

المسلمين . وقد روى الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا عبد الحميد ، عن شهر بن

حوشب ، عن عبد الرحمن بن غنم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر

وعمر : " لو اجتمعنا في مشورة ما خالفتكما " . وروى ابن مردويه ، عن علي بن أبي طالب

، رضي الله عنه ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العزم ؟ قال " مشاورة

أهل الرأي ثم اتباعهم " . وقد قال ابن ماجه : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا يحيى بن

أبي بكير عن شيان عن عبد الملك بن عمير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، رضي الله

عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " المستشار مؤتمن " . ورواه أبو داود
والترمذي ، وحسنه [و] النسائي ، من حديث عبد الملك بن عمير بأبسط منه . ثم قال
ابن ماجه : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا أسود بن عامر ، عن شريك ، عن الأعمش
، عن أبي عمرو الشيباني ، عن أبي مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "
المستشار مؤتمن " . تفرد به . [وقال أيضا] وحدثنا أبو بكر ، حدثنا يحيى بن زكريا بن
أبي زائدة وعلي بن هاشم ، عن ابن أبي ليلى ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم " إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه . تفرد به أيضا . وقوله :)
فإذا عزم فتوكل على الله (أي : إذا شاورتهم في الأمر وعزمت عليه فتوكل على الله
فيه (إن الله يحب المتوكلين)